مسألة اللفظ بالقرآن

الإيمان

مسألةُ اللفظ بِالقرآنِ، هي المسألةُ العُظْمَى التي تَكَلَّمَ بها السلَفُ، وَرَمَوْا مَنْ قَالَ: (لفْظِي بِالقرآنِ مخلوقٌ) بِالبدعةِ؛ لأنَّ هذا كلامٌ لمْ يَقُلْهُ النبيُّ ﷺ ولا قَالَهُ سلفُ الأمةِ، وهو في الحقيقةِ يَحْتَاجُ إلى تفصيلٍ، يَقُولُ ابن القيم –رحمه الله–:

الكُـــلُّ مخلـــوقٌ ولـــيسَ كلامُـــهُ المَتْلُـــوُّ مخلوقًـــا همـــا شـــيئانِ

فَعليْـكَ بِالتفصـيلِ والتمييـزِ فَـال إطـــلاقُ والإجمـــالُ دونَ بيـــانِ

قـد أفْسَـدَا هـذا الوُجـودَ وخبَّطـا الـ أذهـــانَ والآراءَ كُـــلَّ زمـــانِ

وتـــلاوةُ القـــرآنِ فـــي تعريفِهَـــا بِـــاللامِ قـــدْ يُعنَـــى بهـــا شـــيئانِ

يُعْنَـــى بهـــا المَتْلُـــوُّ فهـــو كلامُـــه هـــو غيـــرُ مخلـــوقٍ كَـــذِي الأكْـــوَانِ

ويُـــرَادُ أفعـــالُ العبـــادِ كصـــوْتِهم وأدائِهـــم وكِلاهُمَـــا خَلْقَـــانِ

هـذا الـذي نَصَّـتْ عليـهِ أئمـةُ الـ إســـلامِ أهـــلُ العلـــمِ والعِرْفَـــانِ

وهـو الـذي قَصَـدَ البخـاريُّ الرَّضِـى لكـــنْ تَقَاصَـــرَ قاصِـــرُ الأذهـــانِ

عَـنْ فَهْمِـهِ كتقاصُـرِ الأفهـامِ عَـنْ قـــوْلِ الإمـــامِ الأعظـــمِ الشـــيْبانِي

فـي اللفـظِ لمَّـا أنْ نَفَـى الضِّـدَّيْنِ عـن هُ واهْتَـــدَى للنفْـــيِ نو عِرْفَـــانِ

الإمامُ أحمدُ –رحمه الله ما يَقُولُ بأن اللفْظ بِالقرآنِ مخلوقٌ ولا غيرُ مخلوقٍ، وليس مَعْنَى هذا أنَّهُ تَوَقَّفَ في كونِ أفْعَالِ العبادِ مخلوقةً للهِ؛ وإنَّما هو حسْمٌ للمادةِ، وسَدٌّ للبابِ، واحتياطٌ للاعتقادِ الصحيحِ؛ لأنَّك إذا قُلْتَ: (لفْظِي بِالقرآنِ مخلوقٌ)، واللفظُ مُحْتَمِلٌ، فقدْ يَسْمَعُها شخصٌ فَيُلْقِيها على إطلاقِها، لكنَّ البخاريَّ صَرَّحَ بِأنَّ عبارة (لفْظِي بِالقرآنِ مخلوقٌ) بِاعتبارِ أنَّهُ كَلامِي، والكلام من

فعل العبد وهو مخلوق، والإمامُ أحمدُ –رحمه الله- سَدَّ البابَ بِاعتبارِ أَنَّهُ يُحتَمَلُ أن يكونَ المرادُ اللفظَ الذي هو صوتُ القارئِ، ويُحتَمَلُ أَنَّهُ الملفوظُ المقروءُ المَتْلُوُّ، وهو كلامُ اللهِ، وما دَامَ الاحتمالُ قائمًا فسدُّ البابِ أحوطُ كباقي الألفاظِ المُجْمَلَةِ التي تَحْتَاجُ إلى بيانٍ. والإمامُ الذُهْلِيُّ –رحمه الله- احْتَاط لهذه المسألةِ مِثلَ ما احْتَاط الإمامُ أحمدُ، فَصَارَ بيْنَه وبين البخاري مِنَ العداوةِ ما صَارَ، وحَصَلَ ما حَصَلَ، وامْتُحِنَ البخاريُّ وطُرِدَ مِنْ نَيْسَابورَ.

فاللفظُ يَصلُحُ مصدرًا هو فِعْلُنا كـــــتَلفُّظٍ بِـــــتلاوةِ القـــــرآنِ

وكذاك يَصلُحُ نَفْسَ ملفوظٍ بِهِ وهــو القــرانُ فــذان مُحــتَمَلانِ

فَلِذاكَ أَنْكَرَ أحمدُ الإطلاقَ في نفْـــيٍ وإثبـــاتٍ بِـــلا فُرْقَـــانِ